



الحمد لله الذي جعل الدين قواماً، ومحمدًا صلى الله عليه وسلم للمرسلين خاتماً وإماماً، وجعل المسلمين إخواناً.
أما بعد..

فقد عاد الإسلام غريباً كما بدأ غريباً، بل أشد غربة مما بدأ كما تنبأ بذلك الصادق المصدوق: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء" (مسلم كتاب الإيمان).

فجاجة المسلمين اليوم لبعث الأخوة الإيمانية الضائعة، وإحياء عقيدة الولاء والبراء الغائبة لا تدانيها حاجة الجيل الأول،
وذلك للتزامهم بالأخوة الإيمانية وتحقيقهم للموالاة الربانية.

لقد وصف الله عز وجل المؤمنين بأنهم أخوة فقال: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ)
[سورة الحجرات: 10].

قال القرطبي - رحمه الله - في تأويلها: (أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبتت من أخوة النسب،
فإنَّ أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بأخوة النسب) (الجامع لأحكام القرآن ج 322/16-323).

وقرر الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذه الأخوة الإيمانية وأكدها في عدد من الأحاديث، هذا بجانب تحقيقه لها عملياً
حينما آخى بين المهاجرين الذين هجروا أهليهم، وأموالهم، وأوطانهم ابتعاداً مرضاه الله والأنصار الذين استقبلوا هؤلاء
المهاجرين بأريحية وسعة صدر وقادسواهم أموالهم، بل منهم من أراد أن يقاسم أخاه أزواجه أول قدومه المدينة، ولهذا
مدحهم الله بقرآن يُتلى إلى يوم القيمة: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [سورة
الحشر: 9].

أما الأحاديث فإليك طرفاً منها:

1. عن ابن عمر - رضي الله عنهما -، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "الMuslim أخو المسلم لا يظلمه، ولا
يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيمة،

ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيمة" (متفق عليه، مسلم رقم [2580]).

2. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله -أي لا يترك نصرته-، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى هاهنا، بحسب -يكفي- امرئ من الشر أن يحرق أخاه المسلم" (الترمذى رقم [1928]، وقال محقق رياض الصالحين ص109: صحيح).

3. وعن أبي موسى قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"، وشبك بين أصابعه (متفق عليه، مسلم رقم [2528]).

4. وعن عقبة بن عامر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "المؤمن أخ المؤمن، فلا يحل لمؤمن أن يتبع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر" (مسلم رقم [1414]).

5. وعن أبي هريرة يرفعه: "لا تحسدوا، ولا تناجحوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا بيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً" (مسلم رقم [2564]).

6. وعن أنس يرفعه: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب أخيه ما يحب لنفسه" (متفق عليه، مسلم رقم [45]), وفي رواية لجاره: المنفي هنا هو كمال الإيمان لا أصله.

7. وعن أنس يرفعه كذلك: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً،رأيت إن كان ظالماً كيف انصره؟، قال: "تحجره -أو تمنعه- من الظلم فإن ذلك نصره" (البخاري).

8. وعن أبي هريرة يرفعه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميم العاطس" (متفق عليه، مسلم رقم [2162]).
زاد مسلم: "إذا استنصرك فانصر له"

9. وعن النعمان بن بشير يرفعه: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (متفق عليه، مسلم رقم [2586]).

10. وعن أبي هريرة يرفعه: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يعيبه، ولا يخذله، ولا يتطاول عليه في البنيان، فيستر عليه الريح إلا بإذنه، ولا يؤذنه بقتارة قدره -رائحة طعامه- إلا أن يغفر له غرفة، ولا يشتري لبنيه الفاكهة فيخرجون بها إلى صبيان جاره ولا يطعمونهم منها" (متفق عليه).

11. وعن أبي هريرة يرفعه: "المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضياعه، ويحوطه من ورائه" (أبو داود في باب النصيحة).

12. عن جابر -رضي الله عنه-. قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما من امرئ يخذل مسلماً في موطن يُنتَقَصُ فيه من عرضه، ويُنْتَهَكُ فيه من حرمة، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ مسلم ينصر مسلماً في موطن يُنتَقَصُ فيه من عرضه، ويُنْتَهَكُ فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته" (قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج 7/270: رواه أبو داود، ورواه الطبراني في الأوسط، وإسناده: حسن).

13. وعن سهل بن حنيف عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "من أذل عنده مؤمن فلم ينصره، وهو قادر على أن ينصره أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيمة". قال الهيثمي: (رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وهو حسن الحديث وفيه ضعف) (المصدر السابق).

حقوق المسلم على أخيه المسلم بموجب هذه الأخوة الإيمانية:

حقوق المسلم على أخيه المسلم التي كفلها له الشارع كثيرة جداً، وعظيمة حقاً، لو التزمها المسلمون أو بعضها، لسعدوا في

الدنيا والآخرة، ولما أصابهم الذي أصابهم من الذل والهوان وتداعي قوى الشر عليهم من كل ناحية، ولما سادت بينهم هذه الإحن، والأحقاد، والخصومات.

هذه الحقوق تنقسم إلى قسمين، من حيث ماهيتها:

1. حقوق عينية على من يلي المسلم، من إخوانه المسلمين بقراية، أو جوار، أو تقوى، أو صلاح وعلم.
2. حقوق كفائية على من بعد منه.

وتنقسم إلى أربعة أنواع من حيث خطورتها وأهميتها، هي:

- أ. حقوق شخصية، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه.
- ب. حقوق النصرة.

يجب على كل مسلم أن يُوالى أي مسلم مهما كان، حسب التزامه بالشرع، فمن كان ملتزماً، يوالى موالاة كاملة، ومن ضعف التزامه، يُوالى ولو بنطقه للشهادتين وعدم إتيانه بناقض من نواقض الإسلام: "من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، له ما لنا، وعليه ما علينا" (البخاري في كتاب الصلاة).

ويدرج تحت عقيدة الولاء هذه أمور، أهمها:

1. نصرته.
2. عدم خذلانه.
3. عدم تسليمه لأعدائه من الكفار.
4. عدم تسليمه لحاكم طاغية ظالم.
5. عدم التجسس عليه إن كان مستور الحال، سيما العلماء، وذوي الهيئات.
6. عدم إعانة المشركين والكافر عليه.

ج. حقوق كفائية: إذا قام بها البعض سقطت عن الباقي، وإذا تواترات الأمة على تركها أو بعضها أثمت.

1. السلام عليه، ورد السلام.
2. عيادة المريض.
3. تشميم العاطس.
4. إجابة دعوته سيما دعوة العرس وغيرها، مالم يكن مانع من ذلك.
5. تشيعه إذا مات.
6. الصلاة عليه.
7. تعزيته.
8. تهنئته بالأفراح.
9. ومواساته في الأتراح.
10. نصحه.
11. الإصلاح بين المتخصصين.

د. حقوق التكافل والمواساة: التكافل والمواساة، يكون بالمال وبالسؤال عن الحال، والدعاء، وبالاهتمام بأمر المسلمين كافة.

أولى المسلمين بذلك هم:

1. الأقارب.

2. الجيران.

3. الأيتام والأرامل.

4. الفقراء والمساكين.

5. العلماء وطلاب العلم.

فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: إنَّ خليلي أو صاني: "إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه، ثمَّ انظر أهل بيتك من جيرانك، فأصحابهم منه بمعروف". وفي رواية: "يا أبا ذر إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك" (مسلم رقم [142]، [143]).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا نساء المسلمين لا تحقرنَّ جارة لجارتها، ولو فِرْسِنَ شَاهَ" (متفق عليه، مسلم رقم [1030]).

وعنه - رضي الله عنه - يرفعه: "لا يمنع جار جاره أنْ يغرز خشبة في جداره"، ثم يقول أبو هريرة: "مالي أراكم عنها معرضين! والله لأرمي بها بين أكتافكم" (متفق عليه، مسلم رقم [1609]).

لقد أجمل هذه الحقوق ابن مفلح فقال: (ومما لل المسلم على المسلم: أن يستر عورته، ويغفر زلته، ويديم نصيحته، ويرد غيبته، ويرحم عبرته، ويقبل معاذرته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويجب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويواлиه ولا يعايه، ويحسن نصرته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويشمت عطسته، ويرد ضالته، وينصره على ظالمه، ويكتفه عن ظلمه غيره، ولا يسلمه، ولا يخذه، ويحب له ما يكره لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه) (الآداب الشرعية لابن مفلح - ذكر ذلك في الرعاية ج 1/305).

لا شك أن هذه الحقوق أو جلها، سيما حقوق النصرة والاستغاثة، وحقوق التكافل والمواساة، ضائعة كلها أو جلها إلا القليل النادر، وسبب كل ذلك إغفال المسلمين وإهمالهم لهذه الأخوة الإيمانية، وضياعهم وتفریطهم في عقيدة الولاء والبراء التي كانت سبباً رئيساً بعد الله عز وجل في عزة المسلمين، وتوحيد كلمتهم وإرهاهم لدعوهם.

فمن الآن للمستغيثين والمستغيثات سوى رب البريات، بينما جل المسلمين الآن يستغيثون، وهم مهضومو الحقوق، مكسور الأجنحة؟!.

أَنَّى اتجهت إِلَى الإِسْلَام فِي بَلْد *** تجده كالطير مقصوصاً جناحاه
كَمْ صرَفْتَنَا يَدَكَنَا نَصْرَفَهَا *** وبات يَحْكُمُنَا شَعْبَ مَلْكَنَاه

فما أكثر المستغيثين والمستغيثات، وما أقل وأندر أصحاب المروءات والقلوب الرحيمة والنفوس الأبية، لقد حلت الآثرة والأنانية محل الإيثار، فأصبح الكثيرون شعارهم: نفسي نفسي.

بينما أهل المروءة في انحراف، نجد أن أهل الصفاقة والآثرة في ازدياد حتى شكت المروءة موت أبنائها، والله در القائل:

مررت بالمروءة وهي تبكي *** فقلت على ما تبكي الفتاة؟
فقالت مالي لا أبكي وأهلي *** كلهم دون خلق الله ماتوا

لقد صورَ عمر أبو ريشة الصمم الذي أصاب آذان جل حكامنا عن هذه الاستغاثات قائلاً:

رب وامعتصماه انطلقت *** ملأ أفواه الصبابا اليتَّم

الكفار الآن ينتهكون سيادة بعض الدول إن كانت لها سيادة كأفغانستان، وباكستان، واليمن، والسودان، وليبيا، حيث يرسلون طائرات بدون طيار تقتل عشوائياً في كثير من الأحيان، فقد راح ضحية ذلك أكثر من ألفي قتيل من النساء والأطفال حسب إحصائية أمريكية، هذا بعد أن غزوا واستولوا أفغانستان، و العراق العروبة والإسلام، و حكموا فيها نفراً من عملائهم للنظام، و تفرجهم على إيران، و حزب الشيطان في لبنان، والشيعة في العراق بمعاونة روسيا والصين، يقتلون ويدمرون أهل السنة في بلاد الشام ولا حياة لمن تنادي.

عليك أن تقارن أخي الحبيب بين هذه الحال التي يعيشها المسلمين في هذا العصر، وبين ما كان عليه بعض حكام المسلمين في الماضي، فبضدها تتميز الأشياء.

إغاثة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الناصر رحمة الله لامرأة واحدة:

قال ابن عذاري في البيان المعرab (ج 2/72-75): (وفي سنة أربع وتسعين ومائة، غزا الحكم إلى أرض الشرك، وكان السبب في هذه الغزوة أن عباس بن ناصح الشاعر كان بمدينة (الفرج)، وهي وادي الحجارة، وكان العدو بسبب اشتغال الحكم بـ(مادرة) وتوجيه الصوائف -الغزوات التي تكون في فصل الصيف- إليها مدة من سبع أعوام قد عظمت شوكته، وقوى أمره، فشن الغارات في أطراف الشغور، يسي ويقتل، وسمع العباس بن ناصح امرأة من ناحية وادي الحجارة تقول: واغوثه يا حكم! قد ضيعتنا، وأسلمنا، واستغلت علينا، حتى استأسد العدو علينا!، فلما وفدت عباس إلى الحكم، رفع إليه شعراً يستصرخ فيه، ويدرك قول المرأة واستصراخها به، وأنهى إليه عباس ما عليه التغر من الوهن والتياط الحال -سوءها وتغيرها- فرثى الحكم للمسلمين، وحمي لنصرة الدين، وأمر بالاستعداد للجهاد، وخرج غازياً إلى أرض الشرك، فأوغل في بلادهم، وفتح الحصون، وهدم المنازل، وقتل كثيراً، وأسر كذلك، وقفـ توجهـ على الناحية التي كانت فيها المرأة، وأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم، يصلحون به أحوالهم ويفدون سبایاهم، وخص المرأة وأثرها، وأعطاهم عدداً من الأسرى عوناً، وأمر بضرب رقاب باقيهم، وقال لأهل تلك الناحية وللمرأة: هل أغاثكم الحكم؟

قالوا: شفا والله الصدور، ونكي في العدو، وما غفل عناً إذ بلغه أمرنا!، فأغاثه الله وأعز نصره) (نقلـ عن التاريخ الإسلامي عظات وعبر، للدكترو عبدالعزيز الحميدي ج 317-7).

ما بال بعض المؤسرين الأخيار، يفضلون الحج والاعتمار وغيرهما من فضائل الأعمال، على مواساة إخوانهم المعوزين، وكفالة الأيامى والأيتام؟!

بسبب تفشي العقيدة الخبيثة في المسلمين، عقيدة الإرجاء، وغياب عقيدة الولاء والبراء، وذهاب الأخوة الإيمانية، وتولي النخوة العربية، ذهل وغفل جل المسلمين عن أهمية التكافل والترابط والمواساة لأخوانهم الضعفاء والمساكين والفقراء والمنكوبين مثل غفلتهم عن نصرة المستغاثين سواء بسواء، ولم يفلت من ذلك حتى بعض المؤسرين الفضلاء، حيث أضحي كثير منهم يفضل التطوع بالحج والعمرة وغيرهما من نوافل الأعمال، ويففل عن مواساة المعوزين من إخوان العقيدة بل وعن أقرب الأقربين إليه وطلاب العلم الصالحة، بينما كان سلفنا الصالح سينا العلماء يحثون ويشجعون ويدعون إلى التكافل والمواساة بالقول والفعل.

وإليك هذين النموذجين من هذا السلوك الإسلامي، الإنساني الفريد:

1. عبد الله بن المبارك - رحمة الله -، يدع الحج، ويتبصر بكل نفقة لأسرة معوزة:

قال القاضي عياض رحمة الله: (روي أن عبد الله بن المبارك دخل الكوفة، وهو يريد الحج، فإذا بأمرأة جالسة على مزبلة

وهي تتنف بطة، فوق في نفسه أنها ميّة، فوقف على بغلة، وقال لها: ما هذه البطة، أميّة أم مذبوحة؟
قالت: ميّة،

قال: فلِمَ تتنفِيَها؟

قالت: لا كلها أنا وعيالي.

قال لها: يا هذه إنَّ الله حرم عليك الميّة، وأنت في بلد مثل هذا؟.

قالت: يا هذا انصرف عنِي.

فلم يزل يراجعها الكلام وتراجعه، إلى أن قال: وأين تنزلين من الكوفة؟.

قالت: في قبيلة بني فلان.

قال لها: وبأي شيء نعرف داركم؟.

قالت: ببني فلان.

ففُفل عنها، وسار إلى الخان -منزلة الفندق الآن- ثم سأله عن القبيلة، فدلوه عليها، فقال لرجل لك على درهم وتعالى معي إلى الموضع.

فمضى حتى انتهى إلى القبيلة التي ذكرت المرأة، فقال للرجل: انصرف، ثم دنا إلى الباب فقرع الباب بمقرعة -عصا- كانت معه.

فقالت العجوز: من هذا؟.

قال: افتحي الباب، ففتحت بعضاً.

قال: افتحيه كله.

ففتحته كله، ثم نزل عن البغل، ثم ضربه بالمقرعة فدخل البغل إلى الدار، ثم قال للمرأة، هذا البغل وما عليه من النفقة والكسوة والزاد فهو لكم، وأنت منه في حل الدنيا والآخرة.

ثم جلس ابن المبارك مختفياً حتى رجع الناس من الحج، فجاءه قوم من أهل بلده يسلمون عليه ويهنئونه بالحج، فأقبل يقول لهم: إنه كان بي علة ولم أحج هذه السنة.

قال بعضهم: يا سبحان الله، ألم أوادعك نفقي، ونحن بمني، ونحن نذهب إلى عرفات؟، وآخر يقول: ألم تشتري كذا؟، فأقبل يقول: لا أدرى ما تقولون، أمّا أنا فلم أحج في هذا العام.

فرأى في الليل في منامه آتٍ، فقال: يا أبا عبدالرحمن، أبشر فإنَّ الله قد قبل صدقتك، وبعث ملكاً على صورتك فحج عنك (ترتيب المدارك للقاضي عياض ج 1/171-172).

2. بِشْرُ بنُ الْحَارِث -الحاافي-، ينصح حاجاً بترك الحج وأن يتبرع بنفقة الحج على الفقراء والمساكين: (روى أبو النصر التمار أن رجلاً جاء يودع بِشْرُ بنُ الْحَارِث، وقال: قد عزمت على الحج فأتأمرني بشيء؟).

قال له بشر: كم أعددت للنفقة؟.

قال: ألفي درهم.

قال: فأي شيء تبتغي بحجك، نزهة، أو اشتياقاً إلى البيت، أو ابتغاء مرضاعة الله عز وجل؟.

قال: ابتغاء مرضاعة الله عز وجل.

قال: فإن أصبت مرضاعة الله وأنت في منزلك، وتتفق ألفي درهم، وتكون على يقين من مرضاعة الله عز وجل، تفعل؟.

قال: نعم، قال: اذهب فأعطيها عشرة أنفس.

- مَدِين يَقْضِي دِينه.
- وَفَقِيرٌ يَرْمِ شَعْثَه.
- وَمَعِيلٌ يَحْيِي عِيَالَه.
- وَمَرْبِي يَتِيمٍ يَفْرَحُه.

وَإِنْ قَوَى قَلْبُكَ أَنْ تَعْطُهَا لَوْاْحِدَ فَافْعُلْ، فَإِنَّ ادْخَالَكَ السُّرُورَ عَلَى قَلْبِ امْرَأِ مُسْلِمٍ، وَتَغْيِثَ لَهْفَانَ، وَتَكْشِفَ ضَرَّ مَحْتَاجَ، وَتَعْيَنَ رَجُلًا ضَعِيفَ الْيَقِينِ، أَفْضَلُ لَكَ مِنْ مَائَةِ حَجَةَ بَعْدَ حَجَةَ إِلَسْلَامِ، قُمْ فَأَخْرَجَهَا كَمَا أَمْرَنَاكَ، وَإِلَّا قُلْ لَنَا مَا فِي قَلْبِكَ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا نَصْرَ، سَفَرِي أَقْوَى فِي قَلْبِي، فَتَبَسَّمَ بَشَرٌ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: الْمَالُ إِذَا كَانَ مِنْ وَسْخِ التَّجَارَاتِ وَالشَّبَهَاتِ، اقْتَضَتِ النَّفْسُ إِلَى أَنْ تَقْضِي بِهِ وَطَرَا يَشْرَعُ إِلَيْهِ فَظَاهَرَتِ أَعْمَالُ الصَّالَاتِ، وَقَدْ آتَى اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَقْبَلَ إِلَّا عَمَلٌ يَقِينِ) (الْوَعْظُ الْمَطْلُوبُ مِنْ قَوْتِ الْقُلُوبِ لِلْقَاسِيِ الدِّمْشِقِيِ ص 98-99).

وَقَيْلَ لِيُشْرِأْيَضًا: (إِنْ فَلَانًا الْغَنِيُّ كَثِيرُ الصُّومِ وَالصَّلَاةِ، فَقَالَ، الْمُسْكِنُ تَرَكَ حَالَهُ وَدَخَلَ فِي حَالٍ غَيْرِهِ، إِنَّمَا حَالُهُ أَوْيَ الَّذِي يَنْسَبُهُ إِطْعَامُ الطَّعَامِ لِلْجِيَاعِ، وَالْإِنْفَاقُ عَلَى الْمَسَاكِينِ، فَهَذَا أَفْضَلُ لَهُ مِنْ تَجْوِيْعِهِ نَفْسَهُ وَمِنْ صَلَاتِهِ لِنَفْسِهِ مَعَ جَمِيعِهِ لِلْدُّنْيَا، وَمَنْعِهِ لِلْفَقَرَاءِ) (الْمَصْدِرُ السَّابِقُ).

لَوْ لَمْ يَرِدْ مِنَ الْوَعِيدِ فِي خَذْلَانِ وَعَدْمِ نَصْرَةِ وَإِغْاثَةِ الْمُظْلُومِ إِلَّا هَذَا الْحَدِيثُ، لَكُفَى وَيْلَ لِلْقَاسِيِّ قَلْوَبِهِمُّ، الْغَلِيظَةُ أَكْبَادُهُمُّ، الْمُتَبَلِّدَةُ مَشَاعِرُهُمُّ وَاحْسَاسُهُمُّ، الْمُحْرَمُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مِنْ فِي الْأَرْضِ، يَرْحَمُكُمُ الرَّحْمَنُ فِي السَّمَاءِ" (الْحَدِيثُ)، وَيَلِّ ثُمَّ وَيَلِّ لَمْنَ يَكْذِبَ بِالدِّينِ، وَيَدْعُ الْيَتَمَّ، وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسَاكِينِ، فَلَيَبْشِرُوا بِخَذْلَانِ اللَّهِ لَهُمْ، وَعَدْمِ نَصْرَتِهِ إِيَّاهُمْ فِي يَوْمِ يَفْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأَمِهِ، وَأَبِيهِ، لِخَذْلَانِهِمُّ لَخَوَانِهِمُّ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى ذَلِكَ.

وَأَبْشِرُوا أَيَّهَا الرَّحْمَاءِ الْمَوَاسِوْنَ، وَالْمُغَيْثُونَ لِإِخْوَانِكُمُ الْضَّعَافِ الْمُظْلُومِينَ، بِرَحْمَةِ مَنْ فِي السَّمَاءِ، وَبِنَصْرِهِ الْمَوْعِدُ فِي دَارِ الْلِّقاءِ.

عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا مِنْ امْرَئٌ يَخْذُلُ مُسْلِمًا فِي مُوْطَنِ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ، وَيُنْتَهِكُ فِيهِ مِنْ حِرْمَتِهِ، إِلَّا خَذَلَ اللَّهُ فِي مُوْطَنِ يَحْبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ امْرَئٌ مُسْلِمٌ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مُوْطَنِ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ، وَيُنْتَهِكُ فِيهِ مِنْ حِرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مُوْطَنِ يَحْبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ" (سَبْقُ تَخْرِيجِهِ).

سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، شَهَدَ مَصْرَعَ خُبَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ، وَكَانَ مُشَرِّكًا فَخَشِيَ أَنْ يُؤْخَذَ عَلَى ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ يَصِيبُهُ الْكَرْبُ وَالْجَهَدُ كَلَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ

أَوْدَ أَنْ أَخْتَمَ هَذَا الْبَحْثَ بِمَوْقِفٍ فَرِيدٍ لِأَحَدِ الصَّحَابَةِ الْزَّاهِدِ النَّبَلَاءِ، فَهُوَ نَسِيجُ وَحْدَهُ وَفَرِيدُ عَصْرِهِ وَهُوَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ، حِيثُ لَمْ يَسْتَطِعْ نَصْرَةُ خُبَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ حِينَ بَضَعَتْ قَرِيشَ بَطْنَهُ وَكَانَ مُشَرِّكًا، كَلَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ تَصِيبُهُ غُنْطَةٌ -وَهِيَ أَشَدُ الْكَرْبِ وَالْجَهَدِ-؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَخْشِيَ أَنْ لَا يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ هَذَا الْمَوْقِفُ، فَيُعَاقِبُ عَلَيْهِ.

رَوَى الْإِمَامُ أَبْنُ الْجُوزِيِّ قَائِلًا: (وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، قَالَ: أَسْتَعْمِلُ عَمْرَ بْنَ الْخَطَابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بِحُمْصِ سَعِيدِ بْنِ عَامِرِ الْجَمْحِيِّ، فَلَمَّا قَدِمَ عَمْرُ بْنُ حُمْصٍ، قَالَ: يَا أَهْلَ حُمْصٍ، كَيْفَ وَجَدْتُمْ عَامِلَكُمْ؟ فَشَكَوْهُ إِلَيْهِ، وَكَانَ يُقَالُ لِأَهْلِ حُمْصٍ الْكَوْفِيَّ الصَّغِيرَ لِشَكَائِبِهِ الْعَمَالِ).

قَالَ: نَشَكُو أَرْبَعًا:

- لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا حَتَّى يَتَعَالَى النَّهَارُ، قَالَ: أَعْظَمُ بِهَا، قَالَ: وَمَا ذَلِكَ؟
- قَالُوا: لَا يَجِدُ أَحَدًا بِلِيلٍ، قَالَ: عَظِيمَةٌ، وَمَا ذَلِكَ؟

- قالوا: له يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال: عظيمة، قال: وماذا؟

- قالوا: يغnet الغنطة بين الأيام، أي تأخذه موتة.

قال: فجمع عمر بينهم وبينه، وقال: اللهم لا تُفِيلْ - تخَبِيْ - رَأْيِي فيه اليوم، ما تشكون منه؟، قالوا: لا يخرج حتى يتعالى النهار، قال: والله إن كنت لأكره ذكره، إنه ليس لأهلي خادم، فأعجن عجبني ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبر خبزي، ثم أتوضاً، ثم أخرج إليهم.

قال: ما تشكون منه؟.

قالوا: لا يجيئ أحداً بليل.

قال: ما يقولون؟.

قال: إن كنت لأكره ذكره؛ إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله - عز وجل -.

قال: وما تشكون منه؟.

قالوا: إن له يوماً من الشهر لا يخرج إلينا فيه.

قال: ما يقولون؟.

قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف ثم أدلها، ثم أخرج إليهم آخر النهار.

قال: ما تشكون منه؟.

قالوا: يغnet الغنطة بين الأيام.

قال: ما يقولون؟

قال: شهدت خُبَيْبَ الْأَنْصَارِيَّ بِمَكَّةَ وَقَدْ بَضَعَتْ - قَطَعَتْ وَمَزَقَتْ - قَرِيشَ لَحْمَهُ ثُمَّ حَمْلَوْهُ عَلَى جَنَعٍ.

قالوا: أَتَحُبُّ أَنَّ مُحَمَّداً مَكَانِكَ؟.

قال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدأ شيك بشوكة، ثم نادى: يا محمد، فما ذكرت ذلك اليوم، وتركي نصرته في تلك الحال، وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لي ذلك الذنب أبداً، فتصيبني تلك الغنطة.

قال: عمر: الحمد لله الذي لم يُفِيلْ فِرَاستِي: فبعث إليه بألف دينار، وقال: استعن بها على حاجتك.

قالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك.

قال لها: هل لك في خير من ذلك؟ ندفعها إلى ما يأتينا بها أحوج ما نكون إليها.

قالت: نعم، فدعا رجالاً من أهله يثق به فصرّها صرراً ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى مبتلي آل فلان، فبقيت منها ذهبية.

قال: أنفقي هذه، ثم عاد إلى عمله.

قالت: ألا تشتري لنا خادماً، ما فعل ذلك المال؟.

قال: سيرأتك أحوج ما تكونين إليه) (صفة الصفوة لابن الجوزي ج 1/ 665-667).

هذا الموقف غني عن التعليق لمن ألقى السمع وهو شهيد، أما أموات الأحياء فالله يلطف بنا ويهمن، فقط أريد أن تقارن بين موقف هذا الصحابي الجليل عندما كان مشركاً وقد شهد مصرع مسلم واحد، فكيف بجل المسلمين حكامأ ومحكومين، وقد شهدوا، بل وساهموا في ضياع الأندلس وفلسطين، وفي التخلي عن أفغانستان، وفي تسلیم عراق العروبة والإسلام لغمة سائفة للشيعة، وقد شهدوا مصرع مئات الآلاف، وانتهاء الأعراض، وتدمير المقدسات، وما يجري الآن في بلاد الشام في سوريا، وفلسطين ليس عنا بعيد، حيث يربو عدد القتلى في سوريا على يد طاغيتها بشار والشيعة اللثام على أربعين ألفاً بجانب المعاقين والمسردين والضائعين واللاجئين، وغير ذلك من المجازر والإبادة الجماعية للمسلمين في بورما وسوريا،

والاغتيالات التي تطال كل من تحده نفسه بمقاومة ذلك الإرهاب المقنن والظلم المبرمج.

ليس لذلك مبرر سوى أن إيماننا ويقيننا بالموت، والبعث والحساب، أشبه بالشك، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

اللهم فرج عناً ما نحن فيه، ولا تؤاخذنا بأعمالنا، وعاملنا بإحسانك وعفوك وفضلك يا كريم، وصلّى الله وسلام وبارك على رسولنا الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

البيان

المصادر: